رؤية الصين وروسيا للتقارب العربى الإيرانى

(يناير 2023)

د. نـورهان الشيـخ*

- هناك توافق فى رؤية الصين وروسيا إزاء التقارب العربى الإيرانى حيث تنطلق البلدان من أن مصالحها الاستراتيجية تكمن فى دعم الاستقرار والتقارب العربى الإيرانى. وذلك بالنظر لكون كلاً من الدول العربية وإيران شركاء استراتيجيين، وأنه كلما كانت العلاقات بين الجانبين العربى والإيرانى مستقرة كلما ساعد ذلك على تطوير الشراكة الاستراتيجية مع الطرفين فى مختلف المجالات، مع الإلتزام بعدم التدخل في الشؤون الداخلية واحترام سيادة الدول وخصوصيتها الثقافية والمجتمعية وحقها فى اختيار طريقها للتنمية الاقتصادية.
- تدعم الصين وروسيا رفع العقوبات عن إيران، وإنهاء عزلتها الدولية والإقليمية، وإعادة دمجها فى محيطها الإقليمى، ويعتبر البلدين مهندسى الاتفاق النووى الإيرانى لعام 2015، وانتقدا بشدة الانسحاب الأمريكى منه.
- التأكيد على أن الصين وروسيا خارج أى تحالفات فى المنطقة وحريصة على بناء شراكات جادة ومتوازنة مع الدول العربية وغير العربية أيضاً. وأن تعاونها الاستراتيجى مع إيران لم ولن يكون على حساب الشراكة مع المملكة العربية السعودية، أو أى دولة عربية أخرى. فكلا من بكين وموسكو تدرك جيداً إن الشرق الأوسط ساحة تنافس رئيسية للفاعلين الدوليين والإقليميين، ولا تريد أن تزج بنفسها فى آتون صراعات إقليمية ودولية مستعرة، ومن ثم فهى تتلمس خطواتها وتحاول تحقيق مصالحها دون الاخلال بعلاقاتها المتوازنة مع مختلف الأطراف، ودون أن تتورط فى مواجهة مع طرف دولى أو إقليمى. وكانت زيارات الرئيسين، شى وبوتين، لكل من السعودية وإيران فى أجواء التوتر القائمة بين البلدين، رسالة واضحة أن الصين وروسيا تقيم علاقاتها مع دول المنطقة على أساس من التوازن، وأنها لا تتحيز لطرف إقليمى دون أخر، وحريصة

* أستاذ العلاقات الدولية، جامعة القاهرة.

علـى تعاونهـا مـع مختلـف الأطـراف الإقليميـة علـى قـدم المسـاواة وفقـاً لمقتضـيات مصالحها.

- الانتقال إلى دور الوسيط وصانع الاستقرار:

- عقب التوتر فى العلاقات السعودية الإيرانية على خلفية الحرب فى اليمن، وقيام السعودية بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع إيران بعد مهاجمة السفارة والقنصلية السعوديتين فيها احتجاجا على إعدام رجل الدين السعودي الشيعي نمر باقر النمر، قام نائب وزير الخارجية الصينى جانج مينج بزيارة استمرت يومين لكلا البلدين، ألتقى خلالها مسؤولين كباراً في السعودية، ثم في إيران فى محاولة لحث البلدين على "التهدئة وضبط النفس" في علاقاتهما، الأمر الذى يؤكد ميلاد دور "هادئ" للصين فى قضايا المنطقة.

- أطلقت موسكو مبادرة "المفهوم الروسي للأمن الجماعي في الخليج" فى 23 يوليو 2019، متضـمنة الرؤيـة الروسـية فـى هـذا الخصـوص والإجـراءات اللازمـة لضمانها، إنشاء منظمة للأمن والتعاون بالخليج تضم فى عضويتها القوى الإقليمية المعنية، إلى جانب روسيا والصين والولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي والهند، وغيرها من الأطراف الدولية المعنية بصفة مراقبين، ورأت الوثيقة أن مثل هذه المنظمة يمكن أن تصبح عنصرًا رئيسياً من عناصر نظام الأمن الإقليمي فى منطقة الشرق الأوسط..

- كُللت هذه الجهود بالوساطة الصينية التى نجحت فى الوصول إلى الاتفاق السعودى الإيرانى حيث استضافت بكين لمدة أربعة أيام (6-10 مارس 2023)، و"بمبادرة" من الرئيس الصيني شي جين بينج، مباحثات بين وفدي المملكة العربية السعودية وإيران برئاسة د. مساعد بن محمد العيبان وزير الدولة عضو مجلس الوزراء مستشار الأمن الوطني في المملكة العربية السعودية، والأدميرال على شمخاني أمين المجلس الأعلى للأمن القومي في إيران، تم الإعلان فى ختامها عن التوصل إلى إتفاق سعودي إيراني لإستئناف العلاقات الدبلوماسية في غضون شهرين، وصدر بيان ثلاثي رسمي يجمع الأطراف الثلاث (السعودية وإيران والصين) ويعكس رغبة الصين في وضع بصماتها على جهود إعادة هندسة العلاقات الدولية في مرحلة مابعد الأزمة الأوكرانية.

- يحكم موقف البلدين عدة اعتبارات مصلحية:

(1) الصين:

- إن القفزات التى شهدتها الصين خلال العقدين الماضيين جعلت منها قوة دولية فاعلة ومؤثره، وذلك فى ضوء صعودها الاقتصادى المذهل وكونها ثانى أكبر اقتصاد عالمى وتنافس الاقتصاد الأمريكى بقوة على المركز الأول. كما إنها تمثل ثانى أكبر انفاق عسكرى فى العالم، وتنمو قدراتها العسكرية التقليدية والنووية، وكذلك قدراتها التكنولوجية والسيبرانية على نحو ملحوظ حيث تربط بكين بين تطورها الاقتصادى وتطوير منظوماتها العسكرية. وقد انعكس الصعود الصينى على توجهاتها الاستراتيجية التى تم تعديلها لتتجاوز مفهوم القوة الإقليمية، الذى طالما حكم السياسة الصينية، باتجاه سياسة عالمية تتفق مع وضع القوة الكبرى.

- وفى هذا السياق، قامت الصين بإعادة صياغة استراتيجيتها تجاه منطقة الشرق الأوسط على النحو الذى يتواءم مع وضعها كقوة كبرى فاعلة من ناحية، ومع مستجدات الواقع الإقليمى فى أعقاب الثورات العربية وتداعياتها من ناحية أخرى. وجاءت زيارة الرئيس الصينى شي جين بينج للمنطقة فى يناير 2016 ثم ديسمبر 2022 لتؤكد مجموعة من الأبعاد للاستراتيجية الصينية إزاء المنطقة.

- تقع المنطقة فى قلب مشروع "الحزام والطريق" الذى يعتبر بوصلة السياسة الصينية. وهناك 18 دولة عربية موقعة على الاتفاق الخاص بالمشروع منها السعودية ومصر والامارات إلى جانب إيران. وتشكل إيران التقاطع الوحيد لخط التجارة في آسيا الوسطى الذي يمتد بين الشرق والغرب والشمال والجنوب. وفي مايو 1996 افتتحت إيران وتركمانستان خط سكة حديد بين مشهد وتيجين بطول 300 كيلومتر. وفي ديسمبر 2014، افتتحت كازاخستان وتركمانستان وإيران خط سكة حديد يمتد من أوجين (جانازون)، مروراً بجرجان، ووصولاً إلى موانئ إيران في الخليج، الأمر الذى يزيد من ثقل إيران وأهميتها الجيوستراتيجية بالنسبة للصين باعتبارها حلقة وصل لا غنى عنها فى مشروع "الحزام والطريق" وركيزة فى الربط القاري وطريق الحرير البرى الذى يعد مشروع القرن للصين، وحلم القيادة الصينية الذى انطلق ودخل حيز التنفيذ وفرض تحدى على العديد من الدول للحاق به. وتعتبر المنطقة العربية وخاصة مراكز الثقل العربي، والقوى العربية الفاعلة وفى مقدمتها المملكة العربية السعودية ومصر،

تحتل أولوية واضحة فى الاستراتيجية الصينية، وذلك فى ضوء وثيقة سياسة الصين تجاه الدول العربية، الصادرة فى 13 يناير 2016، والتى تضمنت التأكيد على عمق التعاون بين الجانبين والآفاق الرحبة التى تتطلع لها الصين فى تعاونها مع العالم العربى، وأن تستطيع الدول العربية "ركوب القطار السريع للتنمية الصينية" على النحو الذى يحقق التنمية المشتركة ويخلق مستقبل أكثر إشراقا مع الدول العربية. وأعادت الوثيقة التأكيد على نهج الصين القائم على عدم التدخل فى الشئون الداخلية وتسوية النزاعات عبر الحوار.

- يدعم هذا التوجه مصالح الصين الحيوية فى المنطقة التى تمثل المصدر الأساسى لسد احتياجاتها من الطاقة، وتعتبر السعودية أكبر مصدر للنفط الخام إلى الصين. وعلى الرغم من تراجع معدل النمو الاقتصادي الصيني في الفترة الأخيرة، إلا أن الصين استمرت فى استيراد كميات كبيرة من النفط الخام لملء خزاناتها الاحتياطية، كما إن المنطقة سوق هام لتصريف المنتجات الصينية ذات قوة استيعابية كبيرة. ويكتسب التعاون العسكرى الصينى العربى أهمية خاصة فى ضوء سعى الصين إلى تنشيط صادراتها من الأسلحة. فى هذا السياق تم الارتقاء بالعلاقات بين الصين و8 دول عربية، تشمل مصر والجزائر والسعودية والإمارات وقطر والسودان والأردن والعراق، إلى مستوى الشراكة الاستراتيجية.

- تعد إيران كذلك شريك استراتيجى هام للصين، وهناك تعاون بينهما فى مجالات استراتيجية عدة منها التعاون فى المجال النووى الذى يعود بجذوره إلى الاتفاق الذى وقعه البلدين عام 1985 خلال زيارة رئيس مجلس النواب الإيراني آنذاك علي أكبر هاشمي رفسنجاني إلى الصين. وقامت الصين منذ أواخر الثمانينات بتزويد إيران بالمساعدة اللازمة لبناء المنشآت النووية والمراكز البحثية المرتبطة بها لاسيما في أصفهان، وتدريب العديد من العلماء والتقنيين الإيرانيين في الصين، وبيع اليورانيوم الخام لإيران منذ عام 1991. وتعتبر إيران شريك تجارى هام للصين وقفز حجم التبادل التجارى بينهما 11 مرة منذ عام 2003 ليصل إلى 52 مليار دولار عام 2014، وتستأثر الصين بثلث إجمالي الصادرات الإيرانية.

- كما تسيطر إيران على مضيق هرمز الذي يمر من خلاله نحو خمس واردات الصين من النفط، وتعد إيران مصدر هام للنفط للصين وكانت تحتل المرتبة الثانية بعد

المملكة العربية السعودية فى هذا الخصوص، وعقد البلدان في أكتوبر 2004 صفقة ضخمة بلغت قيمتها 70 مليار دولار لتزويد الصين بالنفط والغاز الإيراني، وتقوم الصين بمقتضاها بتطوير حقل "يداوران" النفطي قرب الحدود مع العراق والذى تقدر احتياطاته بحوالى 3 مليار برميل، مقابل حصة 51% لشركة "سينوبيك" النفطية الصينية من الإنتاج المتوقع للحقل. كذلك تقوم إيران بتزويد الصين بالغاز المسال بقيمة 20 مليار دولار لمدة 25 سنة وذلك وفق بروتوكول آخر تم توقيعه بين الطرفين في مارس 2004. هذا إلى جانب التعاون فى إطار عشرات المشروعات المتعلقة بالبنى التحتية وقطاع الطاقة الإيراني من أبرزها اتفاق بناء مصفاة لتكثيف الغاز فى مدينة بندر عباس جنوب إيران.

- كذلك، تحتل إيران المرتبة الثالثة بين مستوردي السلاح الصيني، وبدأ التعاون العسكرى بين البلدين عقب قيام الثورة الاسلامية وقطع إمدادات السلاح الأمريكى عن إيران. وساعدت الصين طهران في تطوير الصواريخ الباليستية البعيدة المدى وتلك المضادة للسفن، وزودتها بأنظمة دفاعية وصاروخية منها صواريخ "سكود" طويلة المدى وصواريخ "كروز"، كما قامت بتزويدها بصواريخ "سي إس إس"، ودعمت بشكل أكبر قدرات إيران البحرية فيما يخص الزوارق السريعة والحربية، كما زودتها بالمعدات اللازمة لتطوير مصانع الأسلحة والذخيرة الإيرانية.

(2) روسيا:

- لا تقل المصالح الروسية عن نظيرتها الروسية فى المنطقة، وتتطور شراكاتها الاستراتيجية بشكل واضح مع كل من مصر والمملكة العربية السعودية والامارات وغيرها من الدول العربية، كما تتعمق شراكاتها الاستراتيجية مع إيران التى تكاد تكون الدولة الوحيدة التى تدعم روسيا عسكرياً خلال الأزمة الأوكرانية، وقد عكست زيارة الرئيس بوتين لطهران فى يوليو 2022 ذلك بوضوح، واعتبرت إعادة إطلاق للعلاقات الروسية على المستويين الاقتصادى والعسكرى.
- على الصعيد الاقتصادى، حظى تطوير التعاون فى مجال الطاقة باهتمام واضح من الجانبين، وذلك فى ظل العقوبات المفروضة عليهما فى هذا المجال. فقد تم الاتفاق

بين البلدين على أن تستثمر روسيا 7 مليارات دولار في حقل أزاديجان الواقع على الحدود الإيرانية العراقية، مما يمكن إيران وروسيا من بيع النفط المستخرج على أنه عراقي والإفلات من القيود المفروضة عليهما. كما وقعت شركة "غازبروم" الروسية مع الشركة الوطنية الإيرانية للنفط "NIOC" مذكرة تفاهم بقيمة 40 مليار دولار، تخطط بموجبها "غازبروم" للاستثمار في حقول الغاز في كيش وشمال بارس وجنوب بارس، والأخير هو الحقل الذى طالما احتدمت المنافسة عليه بين عدد من الشركات الأوروبية منها "توتال" الفرنسية و"إيني" الإيطالية وكذلك الشركات الصينية التى عرضت ما أسمته "صفقة القرن" بقيمة ربع تريليون دولار للإستحواذ عليه، إلا إن طهران رفضت وقبلت بالشراكة مع روسيا. ويتضمن التعاون فى مجال الطاقة أيضاً تزويد روسيا بـ 40 توربين، بهدف مساعدتها على تجاوز العقوبات الغربية المفروضة على إمدادها بالتكنولوجيا والمعدات المتعلقة بصناعة الغاز. وتعانى طهران من عقوبات غربية مماثلة لعقود مما دفعها إلى تطوير الصناعة المحلية فى هذا المجال وتحقيق اكتفاء ذاتى بنسبة 85% من المنشآت والمعدات اللازمة لصناعة الغاز الإيرانية.

- كما أعلنت طهران فى نوفمبر 2022 عزمها استيراد الغاز من روسيا عن طريق تركمانستان حيث سيتم نقل الغاز من روسيا إلى تركمانستان عبر خط لنقل الغاز، ثم إلى إيران باستخدام خطي نقل يدعمان 20 مليار متر مكعب. وأكد أحمد أسدزاده نائب الشؤون الدولية والتجارة لوزير النفط الإيراني أن هناك مباحثات لتعاون ثلاثي فى هذا الاطار. وذلك فى ضوء تجاوز استهلاك الغاز في إيران حجم الإنتاج، ووجود عجز في إنتاج الغاز في الشتاء بحجم 200 مليون متر مكعب، وتقوم إيران بإستيراد الغاز من تركمانستان لتعويض هذا النقص. كما إن طهران بإمكانها أن تشتري الغاز الروسي بـ"سعر مناسب" وتستخدمه في المناطق الشمالية، وبهذا لن تضطر لنقل غازها من الجنوب، حيث يتم إنتاجه، إلى الشمال، وعندها ستتمكن من تصدير غازها في الجنوب بسعر أعلى إلى جيرانها مثل باكستان وعمان، أو تزيد صادراتها الغازية إلى العراق وتركيا.

وتمتلك روسيا وإيران احتياطات هائلة من الغاز حيث تستأثر روسيا بالمركز الأول من حيث احتياطيات الغاز، بحوالى 49 تريليون متر مكعب، تليها إيران بحوالى

34 تريليون متر مكعب. وتحتل البلدين المرتبة الثانية والثالثة بين منتجى الغاز عالمياً على التوالى، وتعد روسيا أكبر مصدر للغاز عالمياً، وقادا البلدين معاً إنشاء منتدى الدول المصدرة للغاز الذى يضم 12 دولة من كبار مصدرى الغاز وهي: روسيا وإيران والجزائر ومصر والإمارات وغينيا الاستوائية وليبيا ونيجيريا وقطر وترينيداد وتوباجو وفنزويلا وعمان، وتمتلك هذه الدول مجتمعة أكثر من ثلثي احتياطي الغاز في العالم، وتساهم بحوالي 85% من تجارة الغاز الدولية، كما تمتلك 40% من خطوط أنابيب نقل الغاز.

لا تقتصر الطفرة فى التعاون الروسى الإيرانى على مجال الطاقة وإنما يتجاوزه لمجالات أخرى عديدة فى إطار تفعيل اتفاق الشراكة الاستراتيجية الشاملة التى سبق توقيعها بين موسكو وطهران خلال زيارة الرئيس الإيراني إبراهيم رئيسي إلى موسكو في يناير 2022، وتصل مدتها إلى 20 عاماً، ومن شأنها أن تحل محل المعاهدة الأساسية التى تم إبرامها في 12 مارس 2001، والتي تم تجديدها ثلاث مرات، وانتهت في مارس 2021. وتتضمن الاتفاقية الجديدة تعزيز التعاون في مجالات عدة من أبرزها الطاقة، والنقل وتعزيز الصادرات، والمساهمة في إنشاء وتطوير البنى التحتية في إيران.

فقد اتفق البلدان على مضاعفة حجم التبادل التجارى بينهما، الذى تجاوز 4 مليارات دولار عام 2021، وإلغاء التعريفات الجمركية المتبادلة مما يسهم فى مضاعفة التبادل التجاري إلى 10 أضعاف في السنوات القادمة، خاصة مع اتفاقية التجارة الحرة التى تربط إيران والاتحاد الاقتصادى الأوراسى الذى يضم روسيا وبلوروسيا وكازاخستان وأرمينيا وقيرجيزستان، وتتضمن إنشاء منطقة تجارة حرة بين الجانبين. هذا إلى جانب بحر قزوين الذى تتشاطئ فيه كل من روسيا وإيران ويعد منفذ هام للتجارة والنقل المباشر بين الجانبين.

يعزز هذا التعامل بالعملات الوطنية حيث أعلن محافظ المصرف المركزي الإيراني علي صالح آبادي، خلال زيارة الرئيس بوتين إلى إيران، أن طهران وموسكو بدأتا التعامل بالريال الإيراني مقابل الروبل الروسي في مبادلاتهما الثنائية، وأن مصدري السلع يمكنهم بيع الروبل الذي يحصلون عليه من الجانب الروسي في السوق الإيرانية لاستيراد السلع من روسيا. وتزامنا مع حذف البلدين عملة الدولار من مبادلاتهما التجارية، بدأت بورصة العملات الإيرانية التداول بالروبل الروسي والريال

الإيرانـي، وتأسـيس نظـام مـالي مـوازي لنظـام "سـويفت" لتسـهيل المعـاملات بـين الجـانبين، ودمج إيران لمنظومة "مير" المصرفية الروسية مع نظيرتها "شتاب" الإيرانية.

مـن ناحيـة أخـرى، أدى إغـلاق المـوانئ والأسـواق الأوروبيـة أمـام روسـيا إلـى إعـادة توجيـه التجـارة الروسـية إلـى الشـرق والجنـوب، وبـرزت فـى هـذا السـياق أهميـة ممـر "شـمال – جنـوب" الـذى يـربط روسـيا والهنـد عبـر إيـران، والتـى ترددت روسـيا فـى تفعيلـه سـابقاً، إلا إن الظـروف المصـاحبة للأزمـة الأوكرانيـة دفعـت الاتفـاق علـى العمـل بـه ليصـبح أحـد طـرق التجـارة الرئيسـية لروسـيا ودول المحـيط الهنـدي، وبـدأت أولـى جولاتـه التجريبيـة فـي 11 يونيـو 2022، ويتميـز بأنـه أرخـص بنسـبة 30% وأقصـر بنسـبة 40٪ مـن بعـض المسـارات التقليديـة الأخـرى، ويتكامـل مـع توجـه طهـران لإحيـاء اتفاقيـة الترانزيـت الرباعيـة التـي وقعتهـا إيـران وسـلطنة عمـان وأوزبكسـتان وتركمانسـتان، وممـر الترانزيـت الجديـد للسلع بين إيران وأذربيجان وجورجيا.

علـى صـعيد التعـاون العسـكرى، الـذى يعـد محـور أساسـى للشـراكة بـين البلـدين، مثلـت موسـكو مصـدر رئيسـى للأسـلحة والعتـاد العسـكرى لإيـران بعـد أن أغلقـت الولايـات المتحـدة وأوروبـا أبوابهـا فـى وجـه إيـران بعـد الثـورة الاسـلامية. وقـد ارتقـى هـذا التعـاون خـلال الأزمـة السـورية ليشـمل التنسـيق الاسـتخباراتى والاسـتراتيجى بـل وسـمحت إيـران للقاذفـات الروسـية الإنطـلاق مـن قاعـدة "همـدان" الإيرانيـة فـى سـابقة كانـت الأولـى مـن نوعهـا، وسـلمت روسـيا أنظمـة الـدفاع الصـاروخي S-300 إلـى طهـران فـي عـام 2016 ويـتم التفـاوض حـول إمـدادها بأنظمـة S-400 الأكثـر تطـوراً. وعقـب انتهـاء الحظـر المفـروض علـى تصـدير الأسـلحة لإيـران عـام 2020 بمقتضـى قـرار مجلـس الأمـن رقـم 1020 الصـادر فـي 9 يونيـو 2010، بـدأت المفاوضـات بـين البلـدين لإسـتئناف صـادرات الأسـلحة الروسـية لإيـران، وقـام رئـيس هيئـة الأركـان المشـتركة للقـوات المسـلحة الإيرانيـة، محمـد حسـين بـاقري، بزيـارة روسـيا فـي أكتـوبر 2021، لبحـث شـراء أسـلحة تتضـمن غواصـات مـن فئـة "كيلـو" ودبابـات "T-72" ومـدرعات للمشـاة ومروحيـات وأنظمـة مختلفـة مضادة للدبابات ومقاتلات سوخوي.

فـى هـذا الاطـار، تـم عقـد صـفقة لشـراء معـدات عسـكرية مـن روسـيا بقيمـة 10 مليـارات دولار، خـلال زيـارة رئيسـي إلـى روسـيا فـى ينـاير 2022، تتضـمن مـا لا يقـل عـن 24 طـائرة مقاتلـة مـن طـراز سـوخوى -35 فائقـة المنـاورة، وتـدريب 32 طيـاراً إيرانيـاً علـى قيادتهـا فـى روسـيا. هـذا إلـى جانـب توسـيع نطـاق التعـاون الفنـى العسـكرى، ممـا يمكـن

طهـران مـن تمديـد الخدمـة والإصـلاح والتحـديث لمقـاتلات "مـيج 29" و "مـيج 25" و"سـوخوي 24 إم كيـه" التـي تخـدم فـي القـوات الجويـة الإيرانيـة، وتمكنـت طهـران فـى هـذا السـياق مـن تجديـد المقـاتلات الروسـية سـوخوى – 22 ممـا يتـيح لهـا تشـغيل مـا بـين 16 إلى 22 طائرة من هذا الطراز.

سـاعدت العمليـة العسـكرية الخاصـة علـى دفـع التعـاون العسـكرى بـين البلـدين إلـى مسـتويات نوعيـة تؤشـر لشـراكة أعلـى وأعمـق اعتبرهـا الـبعض "شـراكة دفاعيـة كاملـة" وإن لـم تصـل بعـد لمسـتوى التحـالف الكامـل والمعلـن، ولعـل أحـد أهـم أبعـاد ذلـك إمـداد روسـيا بالطـائرات المسـيرة الإيرانيـة. رغـم امـتلاك روسـيا لطـائرات مسـيرة عاليـة التقنيـة، فقـد اعتمـدت بشـكل متزايـد علـى الطـائرات بـدون طيـار الهجوميـة الإيرانيـة (شـاهد 136)، التـي أعيـدت تسـميتها بــ Geran-2 مـن قبـل روسـيا، نظـراً لرخصـها النسـبى، وقـدرتها علـى تحقيـق الأهـداف المحـددة حيـث يمكنهـا الطيـران لأكثـر مـن 1000 ميـل بحمـولات صـغيرة مـن المـواد شـديدة الانفجـار فـي هجمـات انتحاريـة تتضـمن التفجيـر الـذاتي، أو مـا يطلـق عليه "كاميكازي"، فيما اعتبر دعم عسكرى من جانب إيران لروسيا.

ووفقـاً لصـحيفة "وول سـتريت جورنـال" الأمريكيـة فـإن موسـكو وطهـران اتفقتـا خـلال اجتمـاع فـي إيـران فـي أوائـل نـوفمبر علـى تـوطين انتـاج المسـيرات الإيرانيـة فـى روسـيا وبنـاء مصـنع لإنتـاج مـا لا يقـل عـن 6 آلاف طـائرة مسـيرة إيرانيـة لاسـتخدامها فـي الحـرب فـي أوكرانيـا، وفـق نمـوذج جديـد متقـدم أكثـر سـرعة فـى الطيـران ولمسـافة أبعـد وأخفـض صـوتاً. وأن وفـداً إيرانيـاً رفيـع المسـتوى ضـم اللـواء عبـد الله محرابـي رئـيس منظمـة الجهـاد لأبحـاث القـوة الجويـة والفضـائية التابعـة للحـرس الثـوري، وقاسـم دماونـديان الـرئيس التنفيـذي لصـناعة طيـران القـدس وهـي شـركة تصـنيع دفاعيـة إيرانيـة رئيسـية، توجـه إلـى روسيا فـي 5 ينـاير الماضـي لزيـارة الموقـع المخطـط لبنـاء المصـنع فيـه، المفتـرض فـي بلـدة بيلابوجـا بجمهوريـة تتارسـتان الروسـية، علـى مسـافة نحـو 600 ميـل (960 كيلـومتراً) مـن موسـكو، والوقـوف علـى تفاصـيل كيفيـة بـدء المشـروع وتشـغيله، وأن مصـنع الطـائرات المسيرة يعد جزءاً مـن صـفقة قيمتهـا مليـار دولار بـين روسـيا وإيـران. وأن البلـدان بـدءا فـى نقـل التصـاميم والمكونـات الرئيسـية التـي قـد تسـمح ببـدء الإنتـاج فـي غضـون أشـهر. يحقـق هـذا عـدة أهـداف للطـرفين حيـث يسـاعد علـى تلبيـة الاحتياجـات الروسـية المتزايـدة مـن الطـائرات المسـيرة خـلال عملياتهـا فـى أوكرانيـا، مـع رفـع الحـرج والمسـاءلة عـن طهـران والاتهامـات الموجهـة لهـا بشـأن تصـدير الطـائرات المسـيرة لروسـيا. إلا إن العقوبـات الأمريكيـة اسـتمرت تلاحـق إيـران، ففـي 6 ينـاير، اليـوم التـالى لسـفر الوفـد الإيرانـي إلـى

روسيا، فرضت الولايات المتحدة عقوبات اقتصادية على قاسم دماوانديان، الذي تتهمه واشنطن بالإشراف على إمداد روسيا بالمسيرات الإيرانية، وسبق وأن فرضت عقوبات على اللواء محرابي عام 2021 بتهمة بناء وشراء محركات للمسيرات الإيرانية.

كذلك، فإنه وفقاً لمصادر غربية سلمت روسيا إيران أسلحة غربية كانت قد استولت عليها أثناء المعارك فى أوكرانيا، وأنه يمكن لطهران إجراء هندسة عكسية لهذه الأسلحة على النحو الذى يمكنها من تطوير قدراتها الدفاعية فى مواجهة هذه المنظومات، وتصميم نسخة خاصة بها وإنتاجها. وسبق أن أظهرت إيران قدراً كبيراً من الابتكار في الهندسة العكسية للأسلحة الغربية ونشرها في مختلف أنحاء المنطقة. ومنها أنظمة مضادة للطائرات صُممت جزئياً بالاستناد إلى أنظمة صواريخ أرض–جو أمريكية الصنع، تم شحنها إلى الحوثيين في اليمن، بالإضافة إلى طائرات بدون طيار مصممة على أساس طائرة أمريكية بدون طيار تم الاستيلاء عليها.

يصاحب ذلك تعزيز التعاون الأمنى والاستخباراتى بين البلدين لاسيما فى المجال السيبرانى، وخلال لقائه الأدميرال علي شمخاني، ممثل المرشد الأعلى وأمين المجلس الأعلى للأمن القومي الإيراني في طهران، أشار نيكولاي باتروشيف، أمين مجلس الأمن القومي الروسي، فى نوفمبر 2022 عن ارتياحه لتسريع التعاون مع إيران في مختلف المجالات، وأن عقد أربعة لقاءات بين قادة البلدين خلال عام واحد يدل على إرادة طهران وموسكو للارتقاء بالعلاقات الثنائية إلى مستوى استراتيجي، وحدد أهم هدف لزيارته لطهران فى تبادل الآراء مع الجانب الإيراني للإسراع في تنفيذ المشاريع المشتركة بالإضافة إلى توفير آليات ديناميكية لبدء مشروعات جديدة في المجالات المختلفة، ووضع خارطة طريق للتعاون الاستراتيجي لاسيما في مجال التعامل مع العقوبات الاقتصادية والتكنولوجية. كما أكد تعزيز التعاون فى مجال الأمن السيبراني والتدابير لمواجهة التدخل في الشؤون الداخلية لكلا البلدين من قبل أجهزة الاستخبارات الغربية.

هذا فضلاً عن التعاون فى مجال الفضاء الذى يكتسب أهمية متزايدة خاصة للجانب الإيرانى فى ضوء فشل محاولات طهران لتطوير برنامج فضائي مستقل مما أجبرها على اللجوء إلى التكنولوجيا الروسية في هذا المجال. ويعود التعاون الفضائي الروسي الإيراني إلى عام 1998 وتطوير نموذج أولي لمشروع القمر الصناعي الإيراني. وقد أعلنت مؤسسة "روس كوسموس" الفضائية الروسية في 9 أغسطس

2022 عن أن صاروخ "سويوز – 2.1 بي" الفضائي الروسي أطلق من مطار "بايكونور" الفضائي ويحمل على متنه 16 قمرًا صناعياً صغيراً روسياً والقمر الصناعي الإيراني "الخيام". ويستخدم هذا القمر الإيراني في أغراض المراقبة العسكرية، ويسيطر الحرس الثوري الإيراني على برنامج الفضاء بشكل عام، وهو الأمر الذى تنفيه إيران، مؤكدة أنه لأغراض مدنية تجارية سلمية.

(3) نمو الشراكة الثلاثية بين موسكو وطهران وبكين:

تم قبول إيران عضو كامل فى منظمة شنجهاى للتعاون الأمنى التى تأسست بمبادرة من الصين وتضم إلى جانبها كل من روسيا وأربعة من دول آسيا الوسطى، والهند وباكستان. وقد إزداد دور المنظمة وثقلها الدولى والإقليمى، وأصبحت تكتل أمنى واستراتيجى هام يرى البعض أنه قد يشكل توازناً هاماً مع حلف شمال الأطلسى. كما إنها مع الصين وروسيا فى رباعية جوار أفغانستان إلى جانب باكستان.

الأطر الجماعية الحاضنة والمعضدة للتعاون بين البلدين، وفى مقدمتها المنتدى الاقتصادي لدول بحر قزوين، ومنظمة شنجهاى للتعاون التى تم قبول إيران عضو كامل بها فى سبتمبر 2021، سبق ذلك الاتفاق الاستراتيجي الصيني الإيراني، في مارس من نفس العام، الذى يفتح آفاق رحبة للتعاون بين بكين وطهران فى مختلف المجالات ويجعل من الأخيرة محور ارتكاز هام فى مشروع الحزام والطريق الذى تقوده الصين. ويبرز فى هذا السياق، مثلث استراتيجى جديد يضم روسيا والصين وإيران، فقد دفعت التطورات الدولية والإقليمية لاسيما الاستنفار الأمريكى فى مواجهة الدول الثلاث، والتهديدات الناجمة عن الانسحاب الأمريكى من أفغانستان على أمن ومصالح كل من موسكو وبكين وطهران إلى تعزيز التفاهم والتنسيق فيما بينهم. كما تنظر طهران وبكين إلى موسكو إنطلاقاً من مقولة "أُكلت يوم أُكل الثور الأبيض"، وأن روسيا حائط صد إذا سقط سيحل الدور على الصين وإيران فى المواجهة مع الغرب.

تعد المناورات المشتركة التى تجريها الدول الثلاث أحد أهم أبعاد التنسيق والشراكة الثلاثية. ففى ديسمبر 2019 أجرت روسيا وإيران والصين مناورات بحرية فى المحيط الهندى أُطلق عليها "حزام الأمن البحري"، لتتوالى بعدها التدريبات المشتركة

الثلاثيــة والثنائيــة حيــث شــاركت إيــران فــي منــاورات "القوقــاز الروســية" فــي ســبتمبر 2020، واتفـق الجانبـان آنـذاك علـى إجـراء منـاورات بحريـة منتظمـة فـي بحـر قـزوين والخلــيج العربــي ومضــيق هرمــز. وشــهد عــام 2022 عــدة منــاورات ثلاثيــة منهــا منـاورات بحريـة وجويـة فـي المحـيط الهنـدي فـى ينـاير 2022 بهـدف معلـن هـو صـد عمليـات "القرصـنة البحريـة" وتضـمنت المنـاورات محاكـاة لقرصـنة سـفينتين، بمشـاركة "وحـدات سـطحية وجويـة مـن القـوة البحريـة الايرانيـة والقـوة البحريـة للحـرس الثـورى ووحـدات بحريـة مـن روسـيا والصـين، واسـتمرت ثلاثـة أيـام علـى مسـاحة 17 ألـف كلـم مربــع فــي شــمال المحــيط الهنــدي. كــذلك المنــاورات العســكرية المشــتركة فــى بحــر العـرب فـي أغسـطس مـن العـام نفسـه، والتـى تضـمنت التـدريب علـى إنقـاذ المنكـوبين ومكافحــة القرصــنة البحريــة؛ وشــاركت فيهــا 14 ســفينة حربيــة ومســاندة منهــا 3 قطــع بحريــة روســية وهــى طــراد "فاريــاج" وســفينة "أدميــرال تريبــوتس" المخصصــة لمكافحــة غواصات العدو وسفينة المساندة "بوريس بوتوما".

لا تعنــى أنهــا ســتكون علــى حســاب الشــراكة الاســتراتيجية مــع دول الخلــيج، لاســيما المملكــة العربيــة الســعودية، فهنــاك حــرص شــديد مــن جانــب موســكو علــى تطــوير التعــاون مــع الريــاض، خاصــة وأن الأزمــة الأوكرانيــة دفعــت بالعلاقــات الروســية الســعودية لمســتويات اســتراتيجية عاليــة وغيــر مســبوقة، تعــول عليهــا روســيا كثيــراً، وتعتبرهـا حجـر زاويـة فـى ترتيبـات النظـام العـالمى الجديـد علـى المسـتويين الـدولى والإقليمى، وفى المجالين الاستراتيجى والاقتصادى.

كمـا إنهـا لـن تـدفع روسـيا، ولا بكـين، للحـرب نيابـة عـن إيـران أو إلـى جانبهـا حـال نشـوب مواجهـة عسـكرية مـع واشـنطن واسـرائيل، وإن لـم يمنـع مـن دعمهـا علـى غـرار دعـم طهـران وبكـين لموسـكو فـى حربهـا بأوكرانيـا. لكـن قـد يـدفع الغـرب القـوى الـثلاث إلـى التنسـيق لـو بـدأ الحـرب معهـا جميعـاً، ففـى هـذه الحالـة سـتحارب كـل دولـة منهـا علـى جبهتهـا الخاصـة، روسـيا فـى شـرق أوروبـا، الصـين فـى تـايوان، وإيـران فـى الخلـيج. وهـذا أسـوأ مـا يمكـن تصـوره لأن معناهـا حـرب عالميـة ثالثـة تأمـل البشـرية كلها فى تجنبها.

. –

. –

. –

–